

القاهرة يوم التل الكبير

(١٣ سبتمبر ١٨٨٢)

الحرب التي بدأت بين قوات الفزو البريطانية والقوات المصرية بضرب الإسكندرية بمدافع الأسطول البريطاني في ١١ يوليو ١٨٨٢ وانتهت بمعركة التل الكبير في ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ ، واحتلال الإنجليز للقاهرة لم تستغرق سوى ثمانية أسابيع، ومعنى ذلك أن الثورة والمقاومة قد صفيتا بأسرع مما كان متوقعا لدرجة يقول معها المحامي الإنجليزي برودلز: «إن الأئباء الأولى التي وصلت لندن عن أسر عرابي لم يصدقها أحد بل إن جامعى المانشetas فى صحف لندن المسائية استبقوا الخبر بكلمة أشيع ، وأن باعة الصحف فى لندن أنفسهم كانوا حريصين على إغفال ذلك الخبر عند ندائهم على جرائدhem للجمهور المتهمس للحرب»^(١).

حدث هذا على الرغم من أن وثائق الثورة العرابية تؤكد أن القادة العسكريين كانت لديهم النية للمقاومة لفترة أطول على الرغم من هزيمة التل الكبير . وأن بعض الأفكار والخطط قد طرحت للدفاع عن البلاد ضد قوات الفزو في أعقاب المعركة مباشرة فالبرقيات المتبادلة بين أحمد عرابي وعلى باشا الروبي ومحمود سامي البارودي وإدارة السكة الحديد ووكيل نظارة الجهادية ، الذى كان يرأس المجلس العرفى فى القاهرة توضح أبعاد تلك الخطط والأفكار التى طرحت خلال يومي ١٣ ، ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ فى أعقاب معركة التل الكبير، وهى تؤكد على عزم القادة العسكريين على استمرار الدفاع عن البلاد والاشتباك مع قوات الفزو حتى لو سقطت القاهرة فى أيدي الإنجليز . وأول برقية حول هذا الموضوع صدرت من أحمد عرابي وعلى باشا الروبي وهما بعد فى أنساق فى ١٣ سبتمبر إلى وكيل الجهادية^(٢) هذا نصها: «أسرعوا فى ترتيب العساكر الموجودين بمصر وجعلها فى نقطة يمكن بواسطتها حفظ المدينة حيث أن العدو هاجمنا الساعة ١٠ ونصف صباحاً والضباط والعساكر بعد دفاع قليل

ترك المتأرخين وتبددت جميعها فانظروا في حفظ البلد والأعراض». كما أرسل عرابي برقية بنفس المعنى إلى عبد العال باشا حلمى في نفس التاريخ^(٣).

وكانت البرقية التالية من أحمد عرابى إلى محمود سامي البارودى في طلخا جاء فيها «أن العدو في الزقازيق وربما يدخل الليلة بنها فاقطعوا الطريق»، وكان رد محمود سامي «لا يمكن قطع الطريق بواسطتنا وإنما يكون ذلك بأمر سعادتكم إلى أحمد بك ناصف مع التبيبة على مأمور السكة الحديد عن سرعة قيام قطوارات الركاب الموجودة بدبياط ودسوق وزفتى وحضورهم حالاً للمساعدة في نقل العساكر»، واستطرد محمود سامي في برقية أخرى يقول «إن وافق يسأله أحمد بك ناشد المهندس عما إذا كان يمكنه تفريغ أراضى القليوبية والشرقية بواسطة قطع جسور الشرقاوية وترعة الإسماعيلية كى لا يكون للعدو طريق إلى مصر (القاهرة) خلاف الخانكة»^(٤). وكان رد عرابى على هذا النحو: «أنه جارى اللازم في تبويذ كويزى شبين القناطر، وتحرر لمأمور إدارة السكة الحديد ومأمور مركز منيا القمح عن قطع السكة بين الزقازيق ومنيا القمح».

ويستطرد البارودى في برقية ثالثة إلى أحمد عرابى يقول: «لا يجوز السكوت لحد الصباح عن قطع السكة الحديد قطع سهول من فوق (شمال) منيا القمح وبليس حالاً، مع قطع جسور ترعة الشرقاوية وترعة الإسماعيلية لأجل غرق الشرقية والقليوبية حالاً قبل طلوع الصباح وذلك بمعرفة مرعشلى باشا وأحمد بك ناصف المهندس وأظن انهما موجودين بمصر وأخبرونا حالاً عن رأي سعادتكم»^(٥).

وفي رد عرابى على محمود سامي قال «أعطينا الأوامر اللازمة بقطع جسور الشرقاوية وترعة الإسماعيلية لأجل تفريغ الشرقية والقليوبية»، ورد محمود سامي بقوله: «إذا تحسن يصير قطع السكة الحديد من جهة منيا القمح قطع سهول بالقرب من الزقازيق وكذلك قطع سهول جهة بليس»^(٦).

وواضح أن عرابى قد شرع عقب وصوله إلى القاهرة في وضع الأفكار السابقة موضع التنفيذ فأصدر البرقية التالية إلى مأمور مركز منيا القمح: «حالا يصير رفع قدر أربعين جوز قضيب من السكة الموصلة للزقازيق وقطع الجسر قطع سهول وإطلاق المياه ويكون ذلك من جهة قنطرة (أى عن طريق قنطرة) إنما يكون حالا ويفاد»^(٧).

ويبدو أن تعليمات قد صدرت إلى إدارة السكة الحديد بدمير كويرى شبين القناطر، ذلك لأن عرابى أرسل في ساعة مبكرة من صباح الخميس ١٤ سبتمبر برقية من قصر النيل إلى مأمور إدارة السكة الحديد يتساءل فيها « هل أتلتفتوا كويرى شبين أم لا ، يفاد حالا»^(٨).

وبعد دقائق من هذه البرقية أرسل أحمد عرابى إلى إدارة السكة الحديد بتعليمات مماثلة لتلك التعليمات التي أصدرها إلى مأمور مركز منيا القمح حول إتلاف خط السكة الحديد وقطع الجسر جاء فيها : «يصير إعمال الطرق الالزمة في رفع قدر أربعين جوز قضيب من السكة الموصلة من منيا القمح للزقازيق وقطع الجسر وإطلاق المياه به إنما يكون ذلك حالا ويفاد للمعلومية ، كما تحرر لـ مأمور مركز منيا القمح عن ذلك»^(٩).

وقد نقلت إدارة السكة الحديد هذه التعليمات في الساعة الثانية والنصف صباحا إلى محطة منيا القمح بصورة أكثر تفصيلا كما هو واضح من البرقية التالية: «بناء على ما ورد من سعادة ناظر الجهادية والبحرية وحضره باشمهندس السكة حالا وسرعوا خذوا أسطوانت التركيب نمرة ٢ و ٣ . ويصير رفع قضيب السكة من خطى الطالع بهم ما بينهم مسافة قدر أربعين جوز قضيب ورميهم بالجنبية (الترعة المجاورة للسكة الحديد) وفتحت الجسر حتى تمر فيه المياه ، كما تحرر عن ذلك لـ مأمور مركز منيا القمح إنما يكون ذلك سريعا بدقة وصوله ، وبانتهاء (بانتهاء) العملية فيدونا»^(١٠).

وفي الوقت نفسه أفادت إدارة السكة الحديد ناظر الجهادية بالخطوات التي اتخذتها في هذا الشأن بالبرقية التالية: «حضره باشمهندس الخط توجه بوابور مخصوص إلى شبين القناطر بالأدوات الازمة لإتلاف الكوبرى وقد تتبه على محطات دمياط ودسوق وزفتى بسرعة قيام قطارات الركاب الموجودة بطرفهم إلى طلخا لنقل العساكر من طلخا ، كذلك أرسلت ثلاثة قطارات فوارغ من مصر وسيرسل خلافهم لحين انتهاء نقل العساكر. لزم العرض»^(١١).

وبالفعل اتخذت إدارة السكة الحديد بعض الخطوات في تنفيذ التعليمات السابقة، يفهم ذلك من البرقية التالية التي أرسلها ملاحظ هندسة السكة الحديد بالقاهرة إلى ناظر الجهادية: «حسب الأمر توجهنا وأضرمنا النار بكبرى (بكوبرى) شبين ، وبعد أن اشتد لهيبها حضروا أهالى ناحية شبين ومعهم عمدة الناحية وأمأمور المركز وأجروا إطفاء النار خوفا من حضور العدو عندهم وفضوله هناك (بقاءه) وبهذا أجرينا إتلاف قنطرة بين نوى وشبين بكل صعوبة من الأهالى حيث أنهم يخافون ذلك»^(١٢).

ويكمل هذه الصورة أن الاتهام الذى وجه إلى على حسن المهندس بالسكة الحديد جاء فيه «إنه فى ليلة الخميس ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ أخذ قطار مخصوص وتوجه إلى شبين القناطر بقصد حرق كوبرى الشرقاوية وهدم كوبرى طحا وأشعل فيها النار لكن مأمور شبرا والأهالى أطفأوا النيران»^(١٣). كما أعطت إجابة محمود سامي البارودى عند محاكمته بعض التفاصيل حول خطط القادة العسكريين فى أعقاب معركة التل الكبير فعندما سئل عن البرقيات المتبادلة بينه وبين أحمد عرابى حول قطع جسور الشرقاوية والترعة الإسماعيلية وإرغام العدو على اتخاذ طريق الخانكة كان رده «أن هذه البرقيات صادرة منه ، وأن هناك تشاورا كان جاريا حول وضع خطة للدفاع عن البلاد حتى أسوان بمعرفة أركان الحرب ، وكانت المذكرة جارية فى إجراءات المدافعة وكان عمل بلان (خطة) بمعرفة أركان حرب بجميع النقاط لغاية أسوان»^(١٤).

وكانت آخر الوثائق في هذا الموضوع تلك الرسالة التي أرسلها أحمد عرابي إلى قائد آليات السوارى والتي يبدو أنها كتبت في أعقاب اتخاذ قرار التسليم وتقديم عريضة التماس العفو من الخديوى وجاء في هذه الوثيقة: «إذ لا سمح البارى وحضر العدو باكر وهو من باب الاحتياط فحالاً يرفع له راية بيضاء دالة على المكالمة وعدم المحاربة ويرسل مندوبيين ويخبروه بأنه جارى مكالمة من رؤساء الحكومة وأعيان البلد مع الخديوى فلذلك اقتضى تحرير هذا لسعادتكم للمعلومية بما يصير إجراءه». وتستطرد البرقية فتقول: «وعلى ذلك لا يسمح له بدخول العساكر بالمدينة ، فإن صمم على الدخول بعساكره فيصير مدافعته بالسلاح ويجرى تفهيم الضباط والعساكر الموجودة بصدق العزيمة وكمال الثبات متوكلين على الله تعالى في دفعه وصده ، ويصير تفهيمهم أيضاً أنهم إذا تأخروا هتك الأعراض وحل بهم غضب الله»^(١٥).

والبرقية الأخيرة تعبر عن القرار التوفيقى الذى انتهى إليه المجلس العرضى وهو عبارة عن تسوية تقضى الخضوع للخديوى والدفاع عن القاهرة فى نفس الوقت^(١٦).

وهذه البرقيات والاتصالات السريعة والمترابطة تطرح عدداً من الحقائق يمكن إبرازها على النحو التالى :

١ - إن القادة العسكريين لم يخطر ببالهم التسليم للإنجليز قبل أن يلتقطوا بالمجلس العرضى في القاهرة وأنهم كانوا مصممين - كما هو واضح - على استمرار الاشتباك مع قوات الغزو. وأن سرعة تحرك عرابى من التل الكبير ويصحبته عبد الله نديم ومن لحق بهما من القادة مثل البارودى وعلى باشا الروبى كان من أجل إقامة خط دفاعى على وجه السرعة حول القاهرة للحيلولة دون دخول الإنجليز العاصمة^(١٧).

٢ - إن خطة الدفاع عن القاهرة كانت تقوم على إغراق مديرى القليوبية والشرقية وذلك أجزاء من خط السكة الحديد بالقرب من الزقازيق وبسبعين

لتعطيل تحرك الإنجليز وإرغامهم على اتخاذ طريق الخانكة والدخول معهم في معركة أخرى عند ضواحي القاهرة ، وأن خط الدفاع المقترن كان سيقام أمام المطرية شرقى عين شمس و تستند ميمنته على الجبل ويمتد شمالا إلى ترعة الإسماعيلية ثم ينبعطف غربا على الترعة المذكورة إلى النيل عند فم رياح هذه الترعة كما جاء فى مذكرات أحمد عرابى^(١٨).

٣ - إن خطوات تنفيذ هذه الخطة قد بدأت بالفعل بمحاولة على حسن مهندس السكة الحديد إحراق كويرى الشرقاوية وهدم كويرى طحا ، وأن الذى حال دون تنفيذ ذلك هو موقف الأهالى ومحمد القرية وأمأمور المركز الذين سارعوا لإخماد النيران للأسباب التى ذكرت حول هذا الموضوع ، أو لخوف الأهالى من أن يكون ما حدث هو عمل تخريبي من جانب أعداء البلاد .

٤ - إنه فى حالة فشل الدفاع عن القاهرة كان سيتم الانسحاب إلى الصعيد وشحن المراكب بالتعيينات والذخيرة، وإقامة سلسلة من النقاط الدفاعية جنوبا حتى أسوان، كما جاء فى وثيقة التحقيق مع البارودى ، وكما جاء فى مذكرات أحمد عرابى^(١٩).

أما ما ذكره أحمد عرابى فى مذكراته من أنه رفض فكرة إغراق مديرىتي القليوبية والشرقية نظرا لما سيتحقق بالمديريتين من خراب ودمار فليس صحيحا على ضوء الوثائق والخطوات التى تمت فى هذا الصدد. والأرجح أن عرابى وهو يكتب مذكراته فى المنفى بعيدا عن ظروف المعركة قد هاله ما كان يمكن أن يحدث من دمار لو أن هذه الخطة قد نفذت^(٢٠).

وثمة حقيقة أخيرة حول هذه المجموعة من البرقيات والمراسلات أنها تمت جميعها بعيدا عن يعقوب سامي وعن المجلس العرضى - باستثناء الأخيرة منها - ولذلك أهميتها فيما سنعرضه بعد ذلك حول موقف المجلس العرضى من قضية استمرار القتال ضد الإنجليز . والحقيقة أن موقف العسكريين من قضية استمرار المقاومة ضد الإنجليز كان له ما يبرره على ضوء الاعتبارات التالية :

١ - أنه على الرغم من الهزيمة العسكرية التي لحقت بالقوات المصرية في التل الكبير إلا أن القوة الرئيسية للجيش كانت لا تزال موجودة، فالقاهرة كانت مستعدة للدفاع عنها حامية كبيرة ترابط في العباسية والقلعة والمعاقل التي بنيت في الفترة الأخيرة فوق جبل المقطم، وقوة كفر الدوار التي صمدت لهجمات الإنجليز في الميدان الغربي كانت لا تزال متمركزة في مواقعها التي أقيمتها هناك، كما كانت قوات رشيد وأبي قير لا تزال متمسكة، أما حامية دمياط فكانت أكثر صلابة واستعداداً للقتال تحت قيادة عبد العال حلمي الذي استعد للمقاومة وحاول إقناع الأهالي بأن عربى ما زال يقاوم على الرغم من معرفته بهزيمة التل الكبير^(٢١)، واستمر على موقفه حتى ٢١ سبتمبر يؤكد ذلك البرقيات والرسائل المتبدلة بينه وبين قادة المقاومة والأعيان المحليين^(٢٢).

٢ - أن هناك وحدات من الجيش المصري كانت تواجه الثورة المهدية التي بدأت في السودان، وكان من الممكن سحبها أو توحيد جبهة المقاومة مع الثورة في السودان ضد الغزو البريطاني في حالة الانسحاب للصعيد ثم إلى السودان، ويبدو أن أفكاراً من هذا القبيل قد راودت بعض القيادات ومن ثم طرحت فكرة الانسحاب إلى الصعيد ثم إلى السودان^(٢٣).

٣ - التأييد الشعبي الهائل الذي كانت تتمتع به قيادة الثورة والجهد الكبير الذي بذلته الجماهير في المدن والقرى لدعم صمود الجيش واستمراره في المعركة، وأولها التبرعات العينية والنقدية التي أضافت المصادر في الحديث عنها والتي ضمنت استمرار الإنفاق على الحرب على الرغم من أن سلطات الثورة تسلمت خزانة البلاد خاوية، وقد تعددت مظاهر هذا الدعم وهناك التطلع للاشتراك بشكل مباشر في القتال، حيث تذكر المصادر أن الحرب قد بدأت ولم يكن هناك أكثر من عشرة آلاف جندي، وأن هذا العدد قد ارتفع في الفترة التالية إلى مائة ألف^(٢٤). ثم هناك الجهد المساعد للعمليات الذي اضطلعت به جماهير الفلاحين كحفر الخنادق وإقامة الاستحكامات وهي جهود تتصل

بالحرب مباشرة، ويذكر عرابي أن خط استحكامات المسخوطة قد أقيم بواسطة المتطوعين من الأهالي الذين بلغ عددهم ستة آلاف^(٢٥). كما ذكر أيضاً أن خطوط الدفاع في الجبهة الغربية قد تمت بمساعدة خمسة آلاف رجل من أهالي مديرية البحيرة والغربيية، وفوق هذا فإن الأهالي أثثاء ضرب الإسكندرية كانوا تحت وابل القنابل ينقلون الذخيرة ويحملون الجرحى وأن بعضهم كان يشارك في تعمير المدافع وإطلاقها على سفن الأسطول^(٢٦).

وأخيراً هناك تلك التجربة المثيرة التي جرت لتسليح الفلاحين وتنظيمهم في «دركات» في المناطق الشمالية المعرضة للعدوان ، وهو موضوع لم تتعرض له المصادر كثيراً رغم أن وثائق الثورة العربية تشير بوضوح إلى أن تجربة من هذا النوع قد تمت بالفعل لتسليح القرى المجاورة لبحيرة المنزلة ، وأن مسؤولية الدفاع عن شواطئ هذه البحيرة قد أوكلت إلى عمد ومشايخ القرى وفلاحيها بعد أن تم توزيع ألفي بندقية عليهم^(٢٧)، وهي تجربة كانت ستعطى المعركة بعدها شعيباً لو طال أمد الاشتباك مع قوات الغزو، وهذه الاحتمالات تؤيدها رواية كل من برودل (محامي أحمد عرابي) ومحمد عبده ، فبرودلى يقول: «كان من المتوقع بكل تأكيد أن تكون هناك محاولة أخرى للمقاومة أمام القاهرة ، وأنه حتى لو كان كل شئ قد فقد في التل الكبير فلربما كان من السهل على عرابي تدمير الاتصالات التلفrafافية وإطالة عملياته بالحرب في أعلى الصعيد»^(٢٨). أما محمد عبده فيقرر أن خطة عرابي كانت تقوم على إطالة أمد الحرب على أمل أن تتدخل الدول في المسألة^(٢٩).

لكن ما حدث هو أن انهياراً كاملاً وسريعاً قد تم في الموقف عندما توقفت كل القوى السياسية والعسكرية عن المقاومة عقب وصول أحمد عرابي إلى القاهرة عصر يوم الأربعاء ١٣ سبتمبر لطرح الموقف الناجم عن هزيمة التل الكبير على المجلس العرفي واستشارته في الخطوات التي يمكن اتخاذها لمواجهة زحف الإنجليز المعتمل على القاهرة، وكان على الروبي قد اقترح وهم بعد في أشخاص بضرورة التشاور مع أهل البلاد قبل المضي قدماً في تنفيذ

الخطط والأفكار السابق الإشارة إليها^(٣٠).

القاهرة يوم التل الكبير

وصل عرابى إلى القاهرة عصر يوم ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ والناس في شفل شاغل بما هم عليه من الطواف في الشوارع والحرارات فقد كانت جماهير العامة وأرباب الطرق والأشایر وصبيان المكاتب يطوفون زمرا في ذلك اليوم ويصيرون: يا لطيف يا جبار أهلك عسكر الكفار، وكان المؤذنون وأئمة المساجد بيتهلون إلى الله على المنابر بعبارات الدعاء والاستغاثة وطلب النصر على العدو، فلما دخل عرابى القاهرة طاف صاحب الشرطة بملازمة السكون على غير عادته، فلم تلتف العامة إلى قوله واستمروا على التطوف والضجيج حتى شاع الخبر بوصول عرابى ومعه رأس سيمور، أمير البحر الإنجليزى، وكثيرين من كبار الإنجليز - حسب رواية شاروبىم - فهرع العامة من كل صوب وتبعتهم النساء بالزغاريد واشتدت جلبتهم وتزاحمت الضوضاء في الشوارع والطرقات وكثير صياحهم واشتدت الحركة فخاف أصحاب العوانيس وأغلقوا حوانيتهم وزاد خوف أصحاب البيوت وتطيروا من شر ذلك اليوم^(٣١).

وكان أعضاء المجلس العرفى مجتمعين منذ ساعات طويلة في قصر النيل انتظاراً لأنباء المعركة؛ وبوصول عرابى تم عقد اجتماع موسع حضره بعض الأبراء والأعيان وشرح فيه عرابى أسباب الهزيمة، ثم استشار الحاضرين فيما يجب عمله. وفيهم من كلام شاروبىم أن المجلس كان يعاني انقساماً واضحاً في تلك اللحظات الحرجة، حيث قاطع أحد كبار العسكريين أحمد عرابى قائلاً: «أما كفاك يا هذا أن دمرت الإسكندرية بسوء تدبيرك وجهلك بالعواقب حتى ت يريد أن تدمر القاهرة أيضاً بسوء فعالك، فإن لم يكن لك فيها شيئاً فإن لنا فيها أطفالاً وأملاكاً لا نسلم بضياعها»^(٣٢).

وهي رواية تختلف عما ذكره سليم خليل نقاش حول ما دار في المجلس العرفى حيث يقرر أن عرابى عقب وصوله إلى قصر النيل انعقد مجلس من

أمراء العسكرية والملكية وأعيان المحروسة وأخبرهم بالهزيمة وما آلت إليه حالة الجيش ، ثم استشارهم فيما يجب أن يفعل وهل يستمر مدافعاً أو يسلم الأمر لأحكام القضاء والقدر، فأجاب كل منهم بما وصل إليه رأيه ، ثم علت الموضوعات وكثير اللغط بين سالب من القوم وموجب إلى أن أسكنتهم البرنس إبراهيم باشا (ابن عم الخديوي)، بأن قام في المجلس خطيباً وبرهن على وجوب الدفاع عن الوطن ، وقال إن مصر غاصة بالجند ومخازن الجهادية ملأى بالمؤمن والذخائر والأسلحة ومعدات الدفاع متوفرة ، فأجابه الجميع بالاستحسان في الظاهر أما في الباطن فكانت آراؤهم مختلفة وأغراضهم متباعدة، ثم استقر الرأي على إقامة خط دفاعي في ضواحي المحروسة^(٢٣). وبناء على ذلك توجه عرابي إلى العباسية مستصحباً قوماً من المهندسين والضباط لاختيار الموقع المناسب ، وفيما كان يتكلم مع المهندسين في هذا الشأن خاطبه أحد الضباط بكلام قال له فيه «إنك بجهلك وسوء تدبيرك قد أحيرت الإسكندرية وتريد الآن أن تحرق مصر ، فإذا لم يكن لك فيها ما يهمك، فأعلم بأن لنا فيها نساء وأطفالاً وأملاكاً لا نسلم بضياعها إرضاء لك وتتفيداً لأغراضك ، ألا تدرى أنك تعرض مصر للخطر بإنشاء الاستحكامات بالعباسية وتجعل منازلها هدفاً لكرات المدفع فتحن لا نوافتك على ذلك»، وإنني أقول لك ذلك بالأصل عن نفسي وبالنيابة عن جميع الضباط الحاضرين^(٢٤). فلما سمع عرابي هذا الكلام حاقد به الإنذار وارتبك في أمره لاسيما أنه رأى علامات الاستحسان بقول الضابط بادية على الوجه فعلم أن أنصاره قد خذلوه . كان ذلك هو الجو الذي صدر فيه القرار الذي أشرنا إليه بإعلان الولاء للخديوي والدفاع عن القاهرة في نفس الوقت.

وعندما وصل جيش الاحتلال إلى القاهرة في ١٤ سبتمبر كان عرابي وصحابه في دار على فهمي ، الذي كان لا يزال جريحاً في بيته بعد معركة القصاصين (٢٨ أغسطس) ، فتلقي عرابي برقية من قائد قوة العباسية يخبره فيها أن القائد الإنجليزي يطلب منه تجريد جنوده من أسلحتهم فامر عرابي

بالتسليم (في البرقية الأخيرة التي أشرنا إليها) ، ولما انفض الاجتماع خرج عرابي بصحبة طلبة عصمت ومحمود سامي البارودي متوجهين إلى ثكنات الجيش بالعباسية بناء على نصيحة الفرنسي جون نينه الذي كان معهم عند زيارتهم لزميلهم الجريح ، إلا أنه لم يتوجه إلى الثكنات سوى عرابي وطلبة عصمت حيث قابلا القائد الإنجليزي وسلموا سيفيهما . وهي رواية تتفق مع ما أورده بلنت حول اللحظات الأخيرة من تحركات عرابي قبل تسليم نفسه^(٢٥) . وكانت طلائع جيش الاحتلال قد وصلت إلى العباسية مساء الخميس ١٤ سبتمبر وعسكرت في سفح الجبل ، فخرج إليها بعض الرعاع من أهالي باب الشعرية والحسينية بالعصى والهروات بهدف الاشتباك مع القوات البريطانية ، لكن إبراهيم فوزي مأمور ضبطية العاصمة وقتها تصدى لهم وأخذ يراقبهم ويرصد حركاتهم منعاً لوقوع الخلل حسب رواية نقاش ، وكان ذلك تمهدياً لاحتلال القاهرة في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

عوامل الانهيار في الموقف :

لفهم عوامل الانهيار في الموقف السياسي والعسكري الذي قد يبدو مفاجئاً عقب معركة التل الكبير ، لابد من مناقشة قضية التركيب الاجتماعي للسلطة في الثورة العربية .

فقد بدأ الانقسام في جبهة الثورة التي بدأت في شكل جبهة وطنية عريضة ضمت كل القوى الوطنية الراغبة في وقف التدخل الأجنبي والحد من سلطة الخديوي ، وقد بدأ الانقسام في جبهة الثورة في المجتمع الذي عقد بمنزل سلطان باشا يوم ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ عقب قبول الخديوي توفيق للمذكرة المشتركة الثانية ، والتي كانت تطالب بنفي أحمد عرابي خارج مصر وإبعاد رفيقيه محمود فهمي وعبد العال حلمي إلى الأرياف والتي استقالت على أثرها وزارة البارودي ، وفي ذلك الاجتماع هدد العسكريون بمحاصرة سرای الإسماعيلية حيث يقيم الخديوي ، كما طالبوا بخلعه وقيام جمهورية . وقد أدى

طرح قضية عزل الخديوي والأسلوب العنيف الذي عالج به العسكريون الموقوف إلى تراجع بعض القوى السياسية من المدنيين عن جبهة الثورة من كبار الأعيان بطبيعة تكوينهم كصفوة زراعية محافظة ، وعلى رأس هذه المجموعة سلطان باشا وبعض أعضاء مجلس النواب^(٣٦). وأخذت هذه المجموعة تعمل في الفترة التالية على طعن الثورة من الخلف وتخريب الجبهة الداخلية عن طريق استعمال العناصر المترددة إلى صف الخديوي والإنجليز. وقد بلغ التصدع في جبهة الثورة قمته بالمنشور الذي أصدره السلطان العثماني بعصيان عرابي وخروجه على الدولة العثمانية ، ومن ثم نشطت العناصر المعادية للثورة في المدن والقرى لاستعمال العمد والأعیان إلى جانب الخديوي والإنجليز. وكان أخطر ما في هذه المرحلة تسرب اليأس إلى نفوس بعض كبار الضباط عندما صورت لهم على أنهم يحاربون ضد إرادة السلطان العثماني «ولى الأمر وصاحب الحق الشرعي». ويقول عرابي تعليقاً على هذه المرحلة: «ولما نشر منشور السلطان بعصيانتنا ومن معنا بجريدة الجوائب إرضاء للإنجليز ... وزعت منه نسخ كثيرة على ضباط الجيش المصري بواسطة أبو سلطان باشا ومن معه من المخدوعين .. تذمر بعض أمراء العسكرية وقالوا إننا إذا عصاة على السلطان مخالفون لكتاب الله وسنة رسوله .. ومن مات منا مات عاصيا لا أجر له»^(٣٧).

وبذلك دب اليأس إلى النفوس بل إن عرابي يذكر أن محمود باشا فهمى فضل أن يقع في الأسر عندما هاجم الإنجليز المسخوطة في ٢٥ أغسطس ١٨٨٢^(٣٨)، وبذلك أصبح الانهيار ملموساً في جبهة الثورة قبيل معركة التل الكبير. فالثورة التي بدأت بجبهة وطنية عريضة بدت في المرحلة الحاسمة من الصراع ضد الإنجليز أقرب إلى تمدد عسكري يقوده مجموعة من الضباط ، وفي نفس الوقت فإن التركيب الاجتماعي للسلطة التي قادت المعركة ضد قوات الفزو الإنجليزي ابتداء من ١١ يوليو كان بدوره يحمل تناقضاً كبيراً ، فالسلطة التي قادت الثورة كانت تتكون من مجموعة العسكريين وعلى رأسهم أحمد عرابي الذين قادوا الثورة من البداية وأصبح عليهم أن يقودوا العمليات العسكرية

واتخاذ الخطوات الكفيلة بمواجهة الفزو الإنجليزي ، إلا أن مسؤولياتها كانت سياسية أيضا باعتبار أن أحمد عرابي أصبح هو الحاكم الفعلى للبلاد بعد انحياز الخديوى للإنجليز^(٣٩).

إلى جانب هذه المجموعة كان هناك المجلس العرفي الذى أدار البلاد خلال هذه الفترة ، وكان يتكون من وكلاء الوزارات وبعض كبار الضباط والموظفين ، وكلا المجموعتين استمدت شرعيتها من قرارات الجمعية العمومية التى انعقدت فى ٢٢ يوليو ١٨٨٢ وتكونت من حوالى ٥٠٠ عضوا يمثلون القطاعات ذات الثقل فى المجتمع المصرى بعد أن أصبح انحياز الخديوى ومعظم وزرائه للإنجليز حقيقة واقعة^(٤٠) . كما استمدت قيادة الثورة شرعيتها من تأييد جماهير الشعب المصرى لها خلال تلك الفترة .

وفيما يتعلق بمجموعة العسكريين الذين قادوا البلاد خلال فترة الحرب فإن معظمهم ينحدرون من أبناء صغار الأعيان الذين التحقوا بالجيش كجنود عاديين فى عهد سعيد باشا عندما تقرر تجنيد أبناء العمد ومشايخ القرى، ثم ترقى هذه المجموعة من تحت السلاح^(٤١) . وقد ظلت هذه المجموعة أكثر أجنة السلطة ثورية نظرا لأصولها الاجتماعية وانتمائها بالولاء للفلاحين، وإن كان البعض يرى أن هذه المجموعة أصبحت تتبع إلى الطبقة الوسطى على أساس مواقعها الطبقية التي وصلت إليها، وهذا يجعلها مسؤولة بنفس القدر مع المجلس العرفي على اعتبار أن الجميع ينتمون إلى الطبقة الوسطى ويحملون نفس طموحاتها وأخطائها فمثلا يؤخذ على هذه المجموعة ، وخاصة أحمد عرابى أنه لم يقم بحركة تطهير شاملة فى صفوف الجيش بعد أن أصبحت خيانة بعض الضباط واضحة واتصالاتهم بالإنجليز لا تقبل الشك ، مما جعل خطط الجيش ونقطه ضعفة تقلل للإنجليز أولا بأول قبل معركة التل الكبير^(٤٢) .

أما الجمعية العمومية التى انعقدت فى ٢٢ يوليو ١٨٨٢ فإنها كانت تمثل

القواعد العريضة للطبقة الوسطى، فالاجتماع الذي عقدته في ٢٢ يوليو ضم ثلاثة من النساء وشيخ الأزهر وقاضي قضاة مصر ونقيب الأشراف وبطريرك الأقباط الأرثوذكس وحاخام اليهود والنواب والقضاة ومديرو المديريات وكبار التجار والأعيان وكثير من عمد ومشايخ البلاد، ومعنى ذلك أن هذه الجمعية كانت تمثل القاعدة العريضة للطبقة الوسطى في الريف والمدينة وأقرب إلى تمثيل الشعب المصري، كما أنها كانت تتحقق نوعاً من الوحدة الوطنية لأنها كانت تضم ممثلي عن الأديان الثلاثة^(٤٢). وفي الدراسة التي أجراها صلاح عيسى على التركيب الاجتماعي للجمعية العمومية التي يشبهها بمجلس طبقات الأمة في الثورة الفرنسية، لاحظ صلاح عيسى أن الجمعية في اجتماعها الثاني (٢٣ يوليو ١٨٨٢)، والذي ضم ٢٦٠ عضواً كان أغلبهم من القوى صاحبة المصلحة في نجاح الثورة، خاصة المثقفين والتجار، فقد ارتفعت نسبة عدد التجار إلى ٧٢٪ من مجموع الأعضاء، بينما كانت نسبتهم في مجلس النواب ٨٪ من مجموع ٨٢ عضواً، أما المثقفون الذين لم يحتلوا أي مقعد في المجالس النيابية فقد أصبح تقلهم واضحاً في هذه الجمعية وبلغت نسبتهم ٤٥٪، أما العمد فقد بلغت نسبتهم ٢٠٪، وعموماً فقد بلغ عدد الأعضاء العاملين في الجهاز الإداري ٥٦، إلى جانب ٣٠ من رجال الدين و١٨ من العسكريين و٥٢ من العمد و٥٤ من كبار تجار القاهرة والإسكندرية والأقاليم^(٤٤).

كما لاحظ صلاح عيسى أيضاً أن مجلس النواب في مجمله كان يتكون من الأعيان وهم طبقة محافظة بطبعتها، فالذين حكم عليهم بالإدانة نتيجة مشاركتهم في الثورة لم ي تعد أحد عشر عضواً، وأن مجموع من شملتهم الجمعية من أعضاء مجلس شورى النواب لم يزيد عن ستة أعضاء، ويرى صلاح عيسى أنه كان من المفترض أن يكون مجلس شورى النواب هو ركن الجمعية الأساسية^(٤٥).

وعلى الرغم من أن الجمعية العمومية لم تعقد سوى اجتماعيين فقط، أولهما

يوم ١٧ يوليو والأخر يوم ٢٢ يوليو إلا أنها اتخذت أكثر القرارات ثورية خلال تلك الفترة وهي:

- ١ - استمرار الاستعداد للحرب طالما أن الأسطول البريطاني لا يزال في مياه الإسكندرية وقواته تحتل المدينة (قرار ١٧ يوليو).
- ٢ - تثبيت عرابى فى منصبه ووقف أوامر الخديوى (قرار ٢٢ يوليو).
- ٣ - تكليف المجلس العرىنى بإدارة شئون البلاد (قرار ٢٢ يوليو) ^(٤٦).

وأخيرا يأتى المجلس العرىنى الذى أدار البلاد خلال فترة الحرب ، فإنه يمثل الشريحة العليا من الطبقات الوسطى من أصحاب المناصب الإدارية العليا وبعض كبار الضباط ، ولا يوجد عنصر واحد من بين أعضائه من التجار أو أعيان الريف ، وهو بذلك يمثل الشريحة العليا ذات الصفة الإدارية من الطبقة الوسطى أكثر مما يمثل قواعد هذه الطبقة أو الشعب المصرى ، وعلى ذلك فقد اتسمت موافقه بالخوف والتردد وعدم الحسم خاصة فى القضايا المصيرية ، بل إنه كان يخشى من حركة الجماهير ومن ثم كان أعجز من أن يقوم بعملية تعبئة شاملة ودفع الجماهير الشعبية فى معركة طويلة ضد قوات الغزو ، وقد ظهر هذا الخوف والتردد والعجز فى عدد من المواقف :

حدث ذلك عندما رفض المجلس العرىنى تسليع جماهير المدينة فى شكل حرس أهلى عندما طالب أحمد عرابى فى خطاب له فى نهاية شعبان ١٢٩٩ هـ (١٦ يوليو ١٨٨٢) من المجلس العرىنى تشكيل حرس أهلى من أهالى المدن القادرين على حمل السلاح بعد تدريبهم لحفظ الأمن فى المدن فى حالة استدعاء رجال الأمن للمشاركة فى القتال الدائر ضد الإنجليز ، وعلى أن يعين لهذا الحرس قيادات من الضباط المتقاعدين. وقد رفض المجلس العرىنى فكرة تشكيل مثل هذا الحرس وترك العاصمة تحت رحمته ، وجاء فى القرار الذى اتخذه المجلس فى هذا الشأن « أنه لا يؤمن للحرس الأهلى على حراسة العاصمة ، وأن عسكر حرس المحروسة لا يصير تحركهم فى أى وقت من

الأوقات مع الجيش المحارب بل يصير إيقاؤهم بالعاصمة ، وأن الذى يجرى تعليمهم من المتطوعين من الأهالى الذين لهم قدرة على حمل السلاح .. يسافروا مع الجيش عند الاقتضاء»^(٤٧) . وهكذا خشى هذا المجلس الممثل للبرجوازية المصرية أن ترك هذه الطبقة وجهاً لوجه - دون حماية - أمام الجماهير المسلحة .

ثم هناك التردد الذى صاحب فكرة سد قناة السويس كجزء من الخطة التى وضعها محمود فهمى رئيس أركان حرب الجيش للدفاع عن البلاد فى الجبهة الشرقية ، وكان ذلك أمراً حيوياً سوف يرغم الإنجليز على القتال فى ظروف أكثر صعوبة ، ولأهمية هذه الخطة يجب الإشارة إلى أن الخطة البريطانية لغزو مصر كانت تقوم على أن أضعف نقطة فى الدفاع عن البلاد هى جبهة قناة السويس لقصر المسافة بين منطقة القناة والقاهرة ولتقادى اختراق الدلتا فى موسم الفيضان حيث توجد شبكة كبيرة من الترع والجسور والتى يمكن عن طريقها إغراق الجيش الغازى ، ولتقادى الاصطدام بالكثافة السكانية المعادية واحتمالات المقاومة الشعبية ، وكلها دروس مستفادة من الحملة الفرنسية وحملة فريزر، فضلاً عن أن قناة السويس سوف تحقق حرية الحركة للقوة البريطانية البحرية سواء القادمة من الهند أو المرابطة عند الشواطئ الشمالية، وعلى ذلك فإن احتلال الإسكندرية كانت محاولة لتشتيت جهد الجيش المصرى فى أكثر من جبهة وشد انتباذه عن جبهة الفزو الرئيسية^(٤٨) .

وفى مواجهة هذه الخطة وضفت القيادة المصرية خطتها فى الدفاع عن البلاد على أساس الاستفادة من الطبيعة والأرض بأقصى قدر ممكن ، وحددت خمسة خطوط رئيسية للدفاع عن الدلتا: أولها فى كفر الدوار وقاعدته مدينة دمنهور ، والثانى فى رشيد ويشمل ساحل رشيد وإدكو وقاعدة إمداده وتموينه فى مدينة دسوق ، والثالث بين رشيد وبحيرة البرلس ويستفيد من القلاع الموجودة هناك ، والرابع فى دمياط ومركز إمداده وتموينه فى كفر البطيخ ، أما الموقع الخامس فهو الجبهة الشرقية ، وتعترف الخطة المصرية بأنها أضعف

نقاط الموقف العسكري نظراً لاتساعها ، ومن ثم اعتمدت على سد قناة السويس وإقامة خط دفاعي فيها بين الصالحية والتل الكبير للدفاع عن هذه الجبهة^(٤٩).

وعلى ذلك فإن سد قناة السويس كان أمراً حيوياً بالنسبة للدفاع عن الجبهة الشرقية. ويفهم من المراسلات التي دارت بين عرابي وبين القادة العسكريين والمجلس العرفي أن عرابي كان إلى جانب سد القناة ، إلا أنه تخاذل أمام موقف المجلس العرفي الذي كان متربداً في عملية سد القناة حتى لا تتألب الدول على مصر^(٥٠) ، مما سهل على الإنجليز غزو مصر من الشرق .

وأخيراً كان الانهيار والتخاذل عندما طرح عرابي الموقف على المجلس عقب معركة التل الكبير والنظر في قضية استمرار المقاومة. ويدرك الرافعي أن عرابي عندما طرح قضية استمرار المقاومة اختلفت الآراء في المجلس وكثيراً لفط وتشعبت أفكار القوم ، وكان إبراهيم باشا أحمد - عم الخديوي - هو الذي حث المجلس على استمرار المقاومة قائلاً إن القاهرة خاصة بالجند ومخازن الحرية ملأى بالسلاح والذخيرة ووسائل الدفاع متوفرة والواجب هو الدفاع مادامت هناك بقية ، وأن الحاضرين استحسنوا قوله ظاهراً لكن نفوسهم كانت قد دب إليها اليأس وجنحت إلى التسليم^(٥١) . ومعنى ذلك أن انهياراً سياسياً قد حدث في المجلس وأن هذا الانهيار قد عكس نفسه على أحمد عرابي عندما قرر الاستسلام ، على الرغم من أنه يذكر أن القوة التي وجدتها في مركز الطوبجية بقيادة الأمير الائى أحمد بك نير - رغم قلة عددها - قد أبدت استعدادها للوقوف ضد الإنجليز وقتالهم حتى الموت^(٥٢) .

وعلى ذلك ففكرة الاستسلام للإنجليز لم تظهر إلا بعد أن التقى عرابي بالمجلس العرفي ، وهذا يفسر أن جميع البرقيات والاتصالات التي أشرنا إليها تمت بعيداً عن المجلس العرفي الذي كان يعاني انهياراً واضحاً في جلسة يوم ١٣ من اضم إليه من أعيان وذوات القاهرة ، وهي حقيقة يؤكدها عبد الله النديم

فى مذكراته^(٥٣)، بل إن يعقوب سامي كان هو الذى قام بإيقاع أفراد حامية كفر الدوار بالاستسلام^(٥٤)، وعلى ذلك لم يبق فى معسكر الثورة سوى رعاع الشوارع الذين كان لديهم الاستعداد لمقاومة الإنجليز عند دخول القاهرة كما يقرر بلنت^(٥٥). وعندما حاولت جمahir بباب الشعرية والحسينية التصدى للإنجليز عند دخولهم القاهرة ، تصدى لهم أحد أعضاء المجلس العرفى ، وهو إبراهيم فوزى بك محافظ القاهرة الذى رأى فى ذلك عملا لا يجدى ولا يؤدى إلا إلى سفك الدماء فردهم ، وأخذ يراقب تحركاتهم منعا لوقوع الخلل ، على حد قول سليم نقاش^(٥٦).

وعلى هذا فإن الانهيار السريع الذى حدث فى الموقف جاء نتيجة التناقض الاجتماعى الذى كان قائما فى تركيبة السلطة فى الثورة العربية ، والضعف التنظيمى فى بناء الجيش ، الذى لم تبد وحداته أى نوع من المقاومة بعد معركة التل الكبير باستثناء حامية دمياط .

الهوامش

- (١) برودلر .أ.م، كيف دافعنا عن عرابى وصحابه ، ترجمة عبد الحميد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ٣٤ - ٣٥ .
- (٢) دار الوثائق ، أوراق الثورة العربية ، محفظة رقم ٥ تلفرات ملف ٦٧/٥ فى سبتمبر ١٨٨٢ - تلراف من ناظر الجهادية وعلى باشا الروبي بأشاص إلى سعادة وكيل الجهادية والتوكيت المستخدم هنا هو التوكيت العربى ويعادل فجر يوم ١٢ سبتمبر .
- (٣) أوراق الثورة العربية ، محفظة رقم ٨ قضايا متهمين ٨ / ٥٣ د أحمد عرابى : تلراف رقم ٨٥ فى ١٣ سبتمبر (١٨٨٢) من ناظر الجهادية وعلى باشا الروبي بأشاص إلى سعادة عبد العال باشا .
- (٤) محفظة رقم ٨ قضايا متهمين ٨ / ٥٣ عن «صورة التلفرات الشفهية» في ١٣ سبتمبر - أيضاً محفظة رقم ١٦ قضايا متهمين ١٦ / ٢١٨ ١ محمود سامي البارودى .
- (٥) محفظة رقم ٨ قضايا متهمين ١١ / ٣٥٣ عن صورة «التلفرات الشفهية» في ١٣ سبتمبر - أيضاً محفظة رقم ١٦ قضايا المتهمين ١٦ / ٢٨١ ١ محمود سامي البارودى .
- (٦) محفظة رقم ٨ قضايا متهمين ٨ / ٥٣ د ٢ .
- (٧) نفس المصدر ، تلراف بتاريخ ١٤ سبتمبر من ناظر جهادية وبحرية بمصر إلى مأمور مركز منيا القمح - وتفيد الوثائق أن ناظر المحطة تأخر في توصيل هذه البرقية للمأمور حتى وصلت طلائع القوات البريطانية .
- (٨) نفس المصدر ، تلراف من ناظر جهادية وبحرية بقصر النيل إلى مأمور إدارة السكة في ١٤ سبتمبر ساعة ٢٤١ صباحاً إفرنكي .
- (٩) نفس المصدر ، صورة تلراف من ناظر جهادية وبحرية إلى إدارة السكة في ١٤ سبتمبر ١٥٣١ صباحاً إفرنكي - أيضاً محفظة رقم ١٣ قضايا المتهمين ملف رقم ٢٣٩ ب / ١٢ قضية على حسن مهندس بالسكة الحديد .
- (١٠) نفس المصدر ، صورة تلراف من الإدارة بعلامة محمد أفندي رمضان في ١٤ سبتمبر نمرة ٥٣٩ ساعة ٢٣٠ صباحاً إلى محطة منيا القمح - أيضاً محفظة رقم ٨ قضايا متهمين ٨ / ٥٣ د .
- (١١) نفس المصدر ، صورة تلراف من الإدارة بعلامة محمد أفندي رمضان في ١٤ سبتمبر نمرة ٥٤٢ ساعة ٢٤٠ صباحاً إفرنكي إلى سعادة ناظر الجهادية والبحرية .
- (١٢) نفس المصدر ، تلراف رقم ٨٤ بتاريخ ١٤ سبتمبر من ملاحظ هندسة السكة بمصر إلى سعادة ناظر الجهادية .
- (١٣) محفظة رقم ١٦ قضايا متهمين ٦ / ٢٨١ ١ محمود سامي البارودى .
- (١٤) محفظة رقم ١٦ قضايا متهمين ٨ / ٥٣ د ٣ خطاب من ناظر الجهادية والبحرية إلى لواء قائد آليات السوارى ويحمل ختم أحمد عرابى .

- (١٥) بنت ، التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا لمصر ، ترجمة عبد القادر حمزة ، مطبعة البلاغ ، القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٣٤ .
- (١٦) محمد أحمد خلف الله ، عبد الله نديم ومذكراته السياسية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٧٩ .
- (١٧) مذكرات الرعيم أحمد عرابى ، كشف الستار عن سر الأسرار ، كتاب الهلال مايو سنة ١٩٨٩ ، ص ٢٣٧ - أيضا عبد الله نديم ومذكراته السياسية ، ص ٧٩ .
- (١٨) مذكرات عرابى ، ص ٢٣٧ .
- (١٩) تطرح هذه النقطة قضية بالغة الأهمية حول أهمية المذكرات السياسية فى كتابة التاريخ فإلى جانب أن المذكرات السياسية دائمًا تحمل دفاعاً كاتبها عن أنفسهم فإنها تتضمن رؤية للأحداث وقت كتابة المذكرات أكثر منها تسجيلاً لما حدث، مذكرات أحمد عرابى ص ٢٣٧ .
- (٢٠) عبد الرحمن الرافعى ، الثورة العربية والاحتلال الإنجليزى ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٢ .
- (٢١) محفظة رقم ٥ تلفرقات م ٦٩ / ١٧ سبتمبر - أيضاً محفظة رقم ١٢ قضايا متهمين ع ١٢ / ٢٠٢ ب، مذكرات عرابى ، ص ٢٣٨ .
- (٢٢) تشير وثائق محاكمة محمود سامي البارودى أن العسكريين كانت لديهم النية على الاستمرار في سلسلة المقاومة حتى لو سقطت القاهرة وذلك بالانسحاب إلى الصعيد ، والانسحاب إلى السودان والانضمام إلى الثورة المهدية لو سقط الصعيد في أيدي قوات الفزو، مذكرات أحمد عرابى ، ص ٢٣٧ وأيضاً ملف محمود سامي البارودى السابق الإشارة إليه .
- (٢٣) صلاح عيسى ، الثورة العربية ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٤٦٢ ، ٤٦١ .
- (٢٤) مذكرات عرابى ، ص ٢٢٠ .
- (٢٥) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
- (٢٦) توجد ضمن أوراق الثورة العربية خطة متكاملة للدفاع عن بحيرة المنزلة وتوزيع المسؤوليات بين عمد ومشايخ القرى في هذه المنطقة، محفظة رقم ١٧ قضايا المتهمين ملف رقم ٣٩٥/٧ .
- (٢٧) برودلن ، المرجع السابق ، ص ٣٤ .
- (٢٨) محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الأمام ، ص ٢٦ .
- (٢٩) عبد الله نديم ومذكراته السياسية ، ص ٧٩ .
- (٣٠) ميخائيل شاروبىم ، الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٩٠٠ ، ص ٣٢٢ .
- (٣١) نفس المصدر.
- (٣٢) سليم خليل تقاش ، مصر للمصريين ، ج ٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٢٥١ .

- (٣٢) ظهرت فكرة أصحاب المصالح الحقيقة في الاجتماع الذي عقد بمنزل محمد سلطان باشا في ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ عقب قبول الخديوي توفيق للمذكرة المشتركة الثانية ، والتي استقالت على أثرها وزارة البارودي وطرحت فكرة عزل الخديوي من قبل بعض الضباط عند ذلك قال سلطان باشا إنكم بذلك تعطون مصر بأيديكم للإنجليز فأجابه أحد الضباط لا ناقة لنا فيها ولا جمل ، وعند ذلك أجاب أحد الفوار أحد نواب مجلس شورى التواب عن مركز تلا «إذا أتركوا مصر لأصحاب النوق والجمال» ، أحمد لطفي السيد، مبادئ في السياسة والأدب والاجتماع، كتاب الهلال، عدد أغسطس ١٩٦٣، ص ٢٩ .
- (٣٤) برودولى ، المرجع السابق ، ص ٣٤ ، وأيضاً بنت ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .
- (٣٥) نقاش ، المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ .
- (٣٦) محمد أنيس ، السيد رجب حراز ، التطور السياسي للمجتمع المصري ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .
- (٣٧) مذكرات عرابى ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، وحول دور أعون الخديوى خلال تلك الفترة وتأثيرهم على الجبهة الداخلية وكبار الضباط انظر، عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، ص ٧٨ .
- (٣٨) مذكرات عرابى ، ص ٢٠ .
- (٣٩) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .
- (٤٠) حول نص قرار الجمعية العمومية الصادر في هذا الموضوع انظر: عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق ، ص ٤٤٠ .
- (٤١) حول الأصول الاجتماعية لهذه المجموعة انظر ترجمة لحياتهم ، المرجع السابق ، ص ٥٥٦ - ٥٨٩ .
- (٤٢) محمد أنيس ، السيد رجب حراز ، المرجع السابق ، ص ١٥١ .
- (٤٣) حول التركيب الاجتماعي للسلطة ، راجع عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ٤٤٢ - ٤٤٥ .
- (٤٤) صلاح عيسى ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .
- (٤٥) نفس المرجع ، ص ٣٤٣ .
- (٤٦) حول قرارات الجمعية العمومية ، انظر نفس المرجع ، ص ٤٤٠ ، ٤٣٩ ، ٤٣٣ .
- (٤٧) محفظة رقم ٢١ قرارات الجمعية العمومية والمجلس العرفي ملف ٦/٢١ قرارات .
- (٤٨) عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .
- (٤٩) نص هذه الخطة موجود ضمن أوراق الثورة العرابية ، محفظة رقم ٨ ملف ٨/٥٣ د ٣ .
- (٥٠) صلاح عيسى ، المرجع السابق ، ص ٤٥٥ .
- (٥١) عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .
- (٥٢) مذكرات عرابى ، ج ٢ ، ص ٢٨ .
- (٥٣) عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، ص ٧٩ .
- (٥٤) برودولى ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .
- (٥٥) بنت ، المرجع السابق ، ص ٣٤ .
- (٥٦) سليم خليل نقاش ، ج ٥ ، مطبعة جريدة المحروسة بالإسكندرية ١٨٨٤ ، ص ٣٥٣ .